شهادة شخصية في "المنهل"

بقلم مطاع صفدي

منذ وقت قريب كان عمل المعاجم مقتصرا على نزعة مفرقة في الاختصاص اللغوي ، او مفرطة في الاتجاه التجاري. وبالرغم من قدم الصلة نسبيا بين الثقافة العربية الحديثة واللغة الفرنسية خاصة ، فلقد كان القاموس شبه الوحيد الذي يعتمد عليه الطلاب والمثقفون والمترجمون يشكو من نواقص عديدة تجعله غالبا عديم النفع ، بل مسيئا الى الكثير من الصيغ اللغوية الخاصة بالمفردات الجديدة ، والتعابير الاصطلاحية المؤلفة سواء من عدد من المقاطع المجتمعة ، او عدد من الالفاظ .

وفي حين تتوالى ترجمات الكتب الفكرية والادبية والعلمية من الفرنسية والانكليزية ، فان ثقافة القارىء العربي الجديد تكاد تكون ثقافة هذه الكتب ، فتحمل منها ما ينفع وما يضر معا . ولعل الكثير من الاغاليط الفكرية التي انساق اليها مثقفون وسياسيون ورجال تدريس وسواهم ، انما نجحت عما تبنته هذه الترجمات من الفاظ ومفاهيم واساليب تعبير ، غير واعية لمسؤوليتها، في اغلب الاحيان .

لقد كانت عملية تصنيف معاجم اللغات الاجنبية المنقولة الى العربية وقفا على المبادرات الفردية وما يشبهها . وبالرغم من بعض المشاريع التي وصفتها وزارات التربية والثقافة في عديد من الدول العربية ، فان هذه المشاريع لم يكتب ولا يكتب لها ان ترى النور يوما ، لاسباب معروفة . ولذلك ما زال المجال رحبا امام هذه المبادرات الفردية . ومن احدث هذه المبادرات قاموس « المنهل » للصديق الدكتور سهيل ادريس وزميله الدكتور جبور عبدالنور .

لا احب ان اعرض لجميع النواقص التقليدية التي تلافاها هذا المعجم الجديد بصورة بحث مفصل ، غير انني اود في هذه العجالة ان اقدم شهادة فردية ، انتزعتها حديثا من خلال استعمالي لهذا القاموس اياما وليالي عديدة . فلقد كان رفيقي المفضل طيلة انكبابي على مشروع ترجمة اعمال (هربرت مركوز) الى العربية

لقد خرجت من هذه الرفقة ، وانا في الواقع لا اكتم اعجابي ، بل فرحي الحقيقي بظهور هذا الاثر في اللغة العربية ، وفي اوج عصر الترجمة الذي نحيا اليوم جميع تطلباته ومشكلاته اللغوية والحضارية .

واحب ان اسجل شهادتي هذه في نقاط محددة كالتالي :

١ ــ ان معجم « المنهل » يساوق اللغة المستعملة عربيا وفرنسيا ، ويحاول ان يعكس بقدر الامكان احدث التقابلات في المعاني والالفاظ ، التي تنشرها كل يوم المدارس الفكرية والادبية ولغة المخاطبة المباشرة . ولذلك فهو ينتمي الى سياق حي ينفي عن ذاته تهمة المعاجم السابقة « السقيمة » التي كانت تتجاوز دائما مسؤولية الكلمة الحية الهامشة ، وتحاول ايجاد المرادفات المحنطة البالية ، فتسير اللغة الاجنبية في واد ، واللغة المترجمة في واد آخر .

٢ ــ ان هذا القاموس الاقرب الى النزعة الفكرية والادبية منه الى استيعاب جميع مصطلحات العلوم المادية، يقدم خدمة خصبة لجميع اهل الثقافة الادبية والفكرية،اذ يجعلهم يقفون على تحديدات لمعاني الفاظ كانت دائما غائمة

غامضة ، ويثبت امام وعيهم مقترحات لمعاني كثير من المصطلحات الخاصة والمعقدة ، التي ظلت هي كذلك مترددة بين محاولات ترجمة متضاربة متناقضة . ولقد امتازت هذه التحديدات والمقترحات بالعلم الدقيق لعناصر تركيب المصطلح في لغته الام ، واستخداماته المتنوعة. كما استوعبت القدرة الاشتقاقية الهائلة ، الكامنة في اللغة العربية ، فوفقت غالبا بين كل هذه الامكانيات واعطت نتاجا لغويا يمتاز بعضه بالطرافة ، وبعضه الآخر بالابتكار الكامل ، والبعض منه بالمؤالفة والنحت والصياغة المجددة . فمثلا لفظة Lesciologie التي ترجمها « المنهل » الى لفظة اشتقاقية معبرة بدقة عن الاصل وهي « لفاظة » ـ اي علم الالفاظ وهو قسم في فقه اللغة يعنى بالمعزوات وترابطها ، من حيث علاقتها بالمجتمع الذي تعبر عنه ـ .

ومثلا لفظة L'ignard التي ترجمها المنهل باشتقاق يحمل معنى اللفظ ولهجته التقييمة كذلك : (سطير) اي (الصحفي الذي يدفع له على السطر) .

٣ ـ واذا انتقلنا الآن الى مجال تعريب المصطلحات في العلوم النفسية والاجتماعية والنقد الادبي ، وفي الفلسفة ، لبان لنا ان هذا المعجم انما قدم عناية غير محدودة بشمول المصطلحات اولا ، ومتابعتها احيانا كثيرة الى مختلف صيغها اللغوية واستعمالاتها ضمن دائرة المصطلح الاصلي ، وهو في ذلك قد استند ولا شك الى العديد من المعاجم الصغيرة المتخصصة في هذه العلوم ، وزاد وحوّر واصلح منها الكثير من هذه الالفاظ . الى جانب ان المنهل ، ثانيا ، لا يقدم المصطلح بلفظة عادية، ولكنه يردفها بتعريف مقتضب دال على معنى المصطلح باتصاله المباشر مع العلم الذي ينتمي اليه . فمثلا لفظة conceptualiser الفلسفية ، ترجمها المنهل : مفهم ، اي كون مفهوما انطلاقا من شيء . ولفظة conformismé ومقابلها : امتثالية ، اي نزعة للنقد بالاعراف المقررة . ولفظة totalitarismé ومقابلها : الكليانية : اي نزعة السيطرة الكلية على الافراد والمؤسسات الاجتماعية وتوجيهها لصالح الحكم القائم . والامثلة في باب المصطلحات الفلسفية والاجتماعية كثيرة جدا . وهي التي تلفت انتباه المثقف والمفكر والمترجم وطالب الآداب ، اذ تحل له مشكلات تعبيرية لا تحصى . وذلك ما يضفي في الواقع على هذا المعجم صفة كونه معجما مثقفا يكشف عن افق فكري وعلمي وراء سطوره .

٤ ـ فاذا ما حوّلنا نظرنا الى جهة دقيقة يمكن امتحان قيمة المعجم من خلالها ، وهي تعابير الجمل الموصلة والاعتراضية والوصفية التي تغص بها اليوم كل لغة حديثة وخاصة اللغة الفرنسية ، لوجدنا ان قاموس « المنهل » يجوز هذا الامتحان الصعب المتشعب ، ويفيض على القارىء مجموعة لا تحد من المبتكرات والتحويلات اللفظية الممتازة التي نكاد نجد لكل صيغة من هذه الصيغ مطابقا دقيقا له في العربية ، بحيث يؤلف عدم استعماله خروجا حقيقيا عن المعنى الاصلي الذي وردت بحسبه تلك الصيغة. ولا يتسع المجال لايراد امثلة عليها هنا ، فهي عامة وشاملة لنواحي المعجم كله .

٥ ـ ان تلك المزايا يضاف اليها كذلك نزعة منبثة في المعجم للتقريب ما بين حدود المعجم التقليدي وحدود الموسوعة المصغرة ، التي تريد ان تعطي للفظ اكثر من مجرد مقابل محدود ، ولكنها تنزع الى انشاء كل لغوي متحد لمختلف صيغ الكلمة ، بحيث تمد القارىء بمفهوم كلي ومتنوع في الان ذاته عن اللفظ . ان ذلك يجعل من المعجم كذلك اثرا متماسكا بعقلية واحدة ، واسلوب واع لخطواته الدقيقة .

ومع ذلك فان المعجم ، لانه اقحم نفسه في شبكة هذه المطامح المعقدة ، فانه يقدم مجالات كثيرة احيانا لطرح مناقشات ووجهات نظر علمية ، يهتم بها الاختصاصيون بالدرجة الاولى ، اذ قد لا يتراءى لهم تطابق تام بين ما يفهمونه عادة من جملة مصطلحات ، وبين مقترحات « المنهل » .

واعتقد ان طرح مثل هذه المناقشات في مجالات اخرى ، يمكن ان تفيد الى اقصى حد ، ليس على صعيد لغوي بحت ، ولكن على صعيد الايديولوجية الفكرية التي تختفي عادة وراء المصطلحات والالفاظ .

مطاع صفدي

آخر ما اصدرته دور النشر اللبنانية والعربية

بالاضافة الى العرض الدائم لاحدث مجلات

الازياء والموضة الاوروبية

تجدونه

في مكتبة انطوان

فرع : شارع الامير بشير

بيروت